مـــن العقل البشري وضعت مقولات يمكن أن نعتبرها تراثاً إنساناً وروحياً منها " قضية الإنسان" وحريته وبعض القواعد الأخلاقية السامية المعترف بها عند البشر كافة ، والذي لا شك فيه أن العقل البشري له فضل في تركيز الانتباه على الإنسان .

(٣) ولكن جهود العقل البشري وإنجازاته الرائعة في مختلف العلوم ورغبته الملحة في امتلاك معرفة أوســع وأعمــق يجــب ألا تصرفنا عن نقطة جوهرية ، قد يبدو العقل في غفلة منها وهذه القضية الأساســية هــي أن الإنسان مدعو دوماً إلى الكشف عن حقيقة تتخطى قدرات العقل ، ولا تخضع لمنطقه ولفلسفته هذه الحقيقة هي : الدين والوحي الإلهي ، أن الفلسفة المعاصرة في غفلتها عن التماس هــذه الحقــيقة عمقت بحثها في المعرفة البشرية وبدلاً من أن ترتكز على قدرة الإنسان على معرفة "الحقــيقة المطلقــة " آثرت التركيز على محدوديتها وانطوت داخل حدودها ، ومن ثم ظهرت عند الإنسان المعاصر وليس عند بعض الفلاسفة فحسب مواقف ارتياب وشك حول " الحقيقة المطلقة " أو الله ، وعلاقته بالإنسان ، ووجوده الإلهي في كتب الوحي واكتفى العقل عند البعض بتواضع كاذب بالبحــث عن الحقائق العلمية الجزئية والزمنية متنصلاً من السعي الجاد حول المعنى الروحي والإلهي ، فمــن جهة ارتاح العقل حيناً إلى القول بأن الحقيقة المطلقة تتجلى بطرق متساوية في مختلف العقائد والأديان ، بل وأحياناً تبدو متضاربة فلا داع للخوض في أمور الروح ، ومن جهة أخرى نزع العقل حيناً آخر إلى تفسير يطمس السؤال الجوهري في شأن الحياة الروحية وعلاقة الإنسان بالله ..

(٤) لا يــنكر عاقل ما أسبغته العلوم المعاصرة ، والتقدم الحضاري في كل مناحي الحياة من رقي ومــن اتساع رقعة الحرية والثقافة ، ومن انتشار الترف والرفاهية في بلدان متعددة بل ونحلم ببشرية تسري فيها العدالة والمساواة انطلاقاً من قيمة الإنسان كشخص بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه ، لكــن هذا النجاح على المستوى العلمي والاقتصادي لا يعطينا الإجابة عن السؤال الجوهري ما هي علاقــتي بالله ؟ وإلى أين تمضي رحلة الحياة ؟ وهل للألم معنى ، وهل للفضيلة معنى ؟ ، الدين وحده هــو القــادر على الإجابة على السؤال الجوهري والأساسي ولنكن متيقظين أمام كلمة الدين ، فما قصدت إليه في هذا المقال هو المعنى الشمولي للدين ، لا أقصد ديناً بعينه ، أو طقساً أو تشريعات أو لاهوتاً أو فقهاً ، هذه كلها بعض من الدين وليست الدين كله ، المعنى الذي أريده في هذه السطور لكلمة الدين ، هو العلاقة بين المطلق (الله) وبين الزمني والمحدود (لإنسان) وهو الإيمان الذي يكون أساســاً للأخلاق والقيم الروحية ، وليس فقط الممارسات العبادية في نطاقها المحسوس والمادي ، أن الدين هنا ، هو هذه الطاقة الروحية التي تلف كيان الإنسان وهذا الشوق الحاد إلى معرفة الله ، وهذا الظمــأ الذي – برغم ثراء الإنسان المادي – لا يفتأ يمزق وجدان الإنسان ، فكل إنسان شاء أم أبى